



خمسة أمور تعينك على تربية أولادك

(039) سورة الزمر

2019-06-14

عمان

مسجد التقوى

يا ربنا لك الحمد ملاء السماوات والأرض، وملاء ما بينهما، وملاء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك؟ وكيف نضل في هداك؟ وكيف نذل في عزك؟ وكيف نضام في سلطانك؟ وكيف نخشى غيرك والأمر كله إليك؟ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليماً كثيراً، وبعد عباد الله اتقوا الله فيما أمر، وانتهوا عما نهى وجر، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

من أعظم الآثام أن يضيع الإنسان من يقوت :

أيها الأخوة الكرام؛ في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

{ كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوْتُ }

رواه أبو داود وغيره



ضباع الآخرة ضباعٌ أبدي لا انقضاء له

أي أنه من أعظم الآثام، يكفي الإنسان إثماً عند الله، ومعصيةً عند الله أن يُضيع من استرعاه الله الأمانة عليهم، والضباع أيها الكرام ضباع في الدنيا، وضباع في الآخرة، ضباع في الدنيا، وضباع في الدين، أما ضباع الدنيا فمعروف، وقليل من البشر من يضيعون أبناءهم وعائلاتهم ضباعاً دنيوياً، فكل منا حريصٌ حرصاً لا حدود له على أن يقوت، أي أن يطعم أولاده، وأن يكسوهم، وأن يداوهم، وأن يعالجهم، فهذا من حفظ الدنيا، ومن الإثم العظيم أن يضيع الإنسان من استرعاه الله فلا يحفظ الأمانة، لكن هناك ضباع من نوع آخر قد لا يُلتفت إليه، وهو ضباع الدين، وهو أعظم من ضباع الدنيا، فالإنسان عندما تضيع دنياه إنما هي فترة محدودة تنقضي، سنوات، والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر، هي سنوات وتنتهي وتنقضي لكن الإنسان الذي يضيع رعيته، أولاده، يضيعهم ضباعاً دنيوياً وأخروبياً، فإنه قد استحق بهم إثماً عظيماً، لأن هذا الضباع ضباعٌ أبدي لا انقضاء له، في الجاهلية بعض قبائل العرب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ

[سورة التكويد: 8-9]

هذا ضيع ابنته والعياذ بالله قتلها وهي مولودة جديدة، وواراها التراب، هناك عادات جاهلية مقبنة و ما أعظم ما فعل! و ما أعظم شناعته عند الله، لكن في الوجه المقابل من لا يضيع دنيا ابنته، يُدرسها في أرقى الجامعات، و يُطعمها أطيب الطعام، ويكسوها أجمل الثياب، لكنه يتركها متفلتة تخرج من بينها متى شاءت، تضل الناس عن صراط الله المستقيم، لا يهتم لدينها، ولا لصلاتها، ولا لحجابها، ولا لعفافها، ولا لطهرها، ولا تزويجها من شاب مؤمن يحفظ لها دينها، فهذا ضيعها و أدها، لكنه وأد من نوع آخر، ضيع لها دينها، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ

[سورة البقرة: 191]

فقد تكون الفتنة عن دين الله أعظم أثراً ونتيجةً من القتل على رغم من فداحته وعظم جريمته. أيها الأخوة الكرام: إذا كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت، هذا الذي استرعاه الله، أو استرعانا الله أمانته هو تحت أيدينا من زوجٍ، وأولاد، وأنت أيتها المرأة استرعاك الله بيتاً فيه زوج وأولاد:

{ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }

[رواه البخاري ومسلم]

هذه الرعية التي استرعاك الله إياها ينبغي ألا تُضيعها، و ألا تضيع دنيها، وهذا غالباً محقق، فكلنا يسعى إلى إمداد بيته بقدر طاقته:

وألا يضع أحرأها بألا يرعى دينها، وعقيدتها، وإيمانها. أيها الأخوة الكرام؛ هذه خمس قواعد سريعة حسب الدين وفي تربية الأولاد في الإسلام، ونحن على أبواب إجازة الصيف فنحن في أمس الحاجة إلى الموضوع.

أمور تُعين الإنسان على تربية أبنائه :

1 - أن يكون قدوة لهم :



موقف فيه صدق أبلغ من ألف محاضرة

أيها الكرام؛ خمسة أمور تُعينك على تربية أبنائك ورعينك انتبه لها. أولاً: كن لهم قدوة، الناس أيها الكرام يتعاملون بعيونهم ولا يتعاملون بآذانهم، الناس يتعلمون بعيونهم لا من آذانهم، موقف فيه صدق أبلغ من ألف محاضرة في الصدق، موقف واحد في الصدق أبلغ من ألف محاضرة، والأطفال خصوصاً أكثر من الكبار يتعلمون بعيونهم لا من آذانهم، فلو أقيمت ألف محاضرة في الصدق على ابنك ثم جاء اتصال هاتفية فقلت لابنك: قل له: أبي ليس موجوداً في البيت، وأنت موجود في البيت، فقد هدمت ألف محاضرة في الصدق، فالناس يتعلمون بعيونهم، علموا الناس بحالكم قبل أن تعلموهم بمقالكم، فالحال أبلغ من القول، الحال أي المعاملة أبلغ من المقال، هذا عن سهل ابن عبد الله التستري وهو من العلماء الكبار يروي قصته فيقول: كنت ابن ثلاث سنوات، صغير لا يكاد يتكلم إلا قليلاً، كنت ابن ثلاث سنوات، وأنا أقوم الليل أي يستيقظ ليلاً على صوت خاله محمد بن سوار، وهو من الصالحين، وهو يقوم الليل، خاله يقوم الليل، ويناوي ربه، فكنت أنظر إليه ماذا يفعل في الليل، يصلي، فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ يزرع فيه العقيدة وهو ابن ثلاث سنوات، قال: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ قلت: كيف أذكره؟ قال: قل في شرك أي في قلبك - علمه ثلاث كلمات -: الله معي، معية الله، الله معي - الله مطلع عليّ - الله ناظر إليّ، الله شاهدي، قل: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي، قال: داومت عليها، وأنا لا أفقه معناها، طفل صغير يقول: الله معي، قال: فبعد حين سنوات وجدت لها حلاوة في سري، وفي داخلي، أصبح يردد هذه الكلمات فيجد بها أنساً بالله تعالى، فقال له خاله بعدها - بعد حين - قلها في كل ليلة إحدى عشرة مرة، دائماً قل: الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي، قال: فوجدت حلاوتها في قلبي، ثم قال لي: يا سهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وهو شاهدٌ عليه أيعصو؟ إياك والمعصية، فعلمه العادة بالتلقين، دربه على كلمات قليلة ثم علمه مفهوم المراقبة بهذا المعنى وهو طفل صغير. إذاً أيها الكرام؛ عندما كان محمد بن سوار قدوةً لسهل يقوم الليل قبل أن يعلمه القيام، يصلي الفجر قبل أن يأمره بصلاة الفجر، يستيقظ للفجر قبل أن يوقظه، يتعامل بالصدق قيل أن يأمره بالصدق، بهذا المعنى أيها الكرام يكون الإنسان قدوةً، ويكون المربي قدوةً، ويكون المعلم قدوةً، فيتعلم الأطفال من حال المعلم قبل أن يتعلموا من أقواله. إذاً أيها الكرام؛ أول أمرٍ كن لهم قدوةً.

2 - استخدام القصة اللطيفة في التربية :



الصدق فكرة مجردة ليست محسوسة

الأمر الثاني أيها الكرام؛ استخدم في التربية القصة اللطيفة، أخواننا الكرام؛ نحن عندما مجرد وعندما محسوس، ما معنى ذلك؟ إذا قلت لك الآن: الصدق، هذه فكرة مجردة، هل رأي أحدكم الصدق يمشي في الشارع؟ الصدق فكرة مجردة، أي مفهوم، لكن ليست محسوسة لا ترى، هناك شيء محسوس. إذا قلت لك: أحمد صادق، أحمد تراه بعينك، فالمحسوس شيء والمجرد شيء، الطفل أخواننا الكرام قد لا يستطيع أن يتعامل مع المجردات، والأفكار النظرية، والقراءة في الكتب، لكنه يحب أن يري شيئاً ملموساً، هذا الشيء الملموس هو القصة، تنقل القصة الإنسان من الشيء المجرد إلى الشيء المحسوس، فيتعلم من القصة، سأضرب لكم مثلاً: لو أردت أن تعلم ابنك الأمانة و تراقبه هذه أسباب مجردة، قد لا يستطيع أن يدركها تماماً، أو إن أدركها قد لا يستطيع أن يتمثلها، لكن عندما تروي له قصة بائعة الحليب قالت: يا بنية قومي فامزقي اللبن في الماء سوف يزيد الوزن والثمن، قالت لها البنت: يا أماه معذرةً قد نهي عمر أن نخلط اللبن، قالت الأم: لا يري عمر صنعنا، إنما الفاروق ليس هنا، فقالت البنت: لا تفعلني أبداً فالله يعلم منا السر والعلن، إن لم يكن عمر الفاروق يبصرنا فإن رب أبي حفص هنا معنا، هذه القصة في المراقبة والأمانة، هذه مفهومة أكثر من الفكرة المجردة بكثير، إن لم يكن عمر يرانا فإن رب عمر يرانا، كان عمر يتفقد رعيته، فسمع مقولة الفتاة إن لم يكن عمر يرانا فإن رب عمر يرانا، فذهب إلى بيته وأقسم على أولاده أن يزوجها لأحدهم، لماذا؟ لأنه أدرك أن فتاة تراقب الله عز وجل لا شك أنها أم مربية عظيمة، ستنجب جيلاً عظيماً، وزوجها لأحد أولاده لعاصم، فمن كان من نسلهم بعد حين؟ عمر بن عبد العزيز الذي أعاد للخلافة راشديتها. إذا أخواننا الكرام؛ الناس يتعلمون بعيونهم أولاً، والناس يتعلمون بالأفكار المحسوسة بالقصة. النبي صلى الله عليه وسلم كان مع أصحابه، أراد أن يعلمهم بالفكرة المحسوسة، قَرَسَ خطأً مربعاً أي رسم مربعاً كما في الصحيح:

{ خط النبي □ خطأً مربعاً، وخط خطأً في الوسط خارجاً منه، وخط حُططاً صغيراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، فقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط -، وهذا الذي هو خارجُ أمله- أي الإنسان يأمل أن يكون مليونيراً، يأمل أن يحتل منصباً مرموقاً، يأمل أن يكون له منزل واسع، مركبة فاخرة، هذا الأمل، لكن هذا الأمل خارج المربع، أي خارج حدود المحسوس، فهو لن يدركه- وهذه الخطط الصغار الأعراض- ما معنى الأعراض؟ أي المصائب؛ مرض، وفاة، حريق، وفاة حبيب- فإن أخطأه هذا نهشته هذا، وإن أخطأه هذا نهشته هذا { [البخاري عن ابن مسعود]

فالنبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يعلم أصحابه أن الموت محيط بنا، وأن أملنا دائماً كبير، لكن الموت قد يوقفه فينبغي أن نعمل عملاً يدفعنا بعد مضي الموت، فالأعراض تحيط بنا من كل جانب، فَرَسَ هذه الرسمة التي تعبر عن هذا المفهوم.

3 - الملاحظة و المراقبة بلطف :

أيها الأخوة الكرام؛ إذاً أولاً: كن لهم قدوة، ثانياً: علمهم بالقصة والمثل، ثالثاً: الملاحظة و المراقبة و لكن بلطف.



ينبغي أن يراقب المرابي ويلاحظ لكن بلطف

أخواننا الكرام؛ الله تعالى الآن وفي كل وقت هو معنا، معنا يعلمه ويقدرته، وهو معكم أينما كنتم هل نشعر بذلك؟ بمعنى هل نشعر بمعبة الله لنا لأنه جل جلاله في كل لحظة يراقبنا؟ غالباً لا نشعر بذلك، في لحظات معينة نشعر لماذا؟ لأنه جل جلاله لطيف، فهو يراقبنا بلطف، لو أن إنساناً منسى معك، ولم يتركك أبداً، ألا تشعر بالثقل؟ تقول له: اذهب عني، المراقبة أحياناً يكون فيها نقل، وأحياناً يكون فيها لطف، فالمرابي ينبغي أن يراقب ويلاحظ، لكن بلطف، بحيث لا يشعر المراقب بذلك، لكن أن تتركه من غير مراقبة ومن غير ملاحظة فهذه ليست تربية.



وجود الجوال يولد الحاجة إلى المراقبة

أخواننا الكرام؛ اليوم يوجد مصيبة اسمها: الهاتف النقال، الهاتف الذكي، هذه من أعظم مصائب العصر، فوالله إذا كانت التربية تحتاج قبل أن يخترع ذلك الهاتف فرصاً إلى مئة وحدة من التربية، لو فرضنا جدلاً أن التربية لها وحدات، لو أنه كان يحتاج إلى مئة وحدة من التربية، فاليوم يحتاج إلى عشرة آلاف وحدة من التربية بسبب هذا الجهاز، فهذا الجهاز أيها الأخوة يحتاج إلى شيء، أولاً: إلى التحصين الداخلي ثم إلى المراقبة، لا يغني واحد عن الآخر، التحصين الداخلي بمعنى أن الابن أو المعلم أو المربي عندما ينشأ قوياً إيمانياً فلو جاءه عوارض خارجية من شهوات وشبهات من هذا الجهاز الخطير، فإنه يعود إلى ما تربى عليه، عنده مرجع، عنده آيات يحفظها، عنده أحاديث تعلمها من والده، عنده مركز لتحفيظ القرآن الكريم يتعلم فيه، عنده مسجد يزوره مع والده على صلاة المغرب والعشاء ربما، أي له برنامج آخر يحصنه من الداخل، لكن مع التحصين الداخلي لابد من المراقبة والمتابعة، بمعنى أن يجلس الطفل ساعات على الجهاز الجوال وأمه على جهازها، أو في المطبخ، ووالده في العمل ولا ندري ماذا يتابع؟ هذه مصيبة كبيرة، لابد له في كل عشر دقائق من متابعة، ولابد من تحديد الوقت، لأن أضرار هذا الجهاز الصحية والجسمية والنفسية لا تعد ولا تحصى، وأهم هذه الأضرار أن يُصل الإنسان في دينه والعباد بالله. إذاً أيها الكرام؛ الملاحظة والمتابعة في التربية عملية تراكمية، وهي عملية تكاملية معاً، كيف ذلك؟ تراكمية بمعنى أنها تبنى شيئاً فوق شيء، النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَتْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاصْرُبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَتْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَصَاحِحِ }

[صححه الألباني في صحيح أبي داود]

هل هناك طفل ابن سبع سنوات مكلف؟ أبداً، لا ذكر ولا أنثى، لماذا مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَتْنَاءُ سَبْعِ ولم يكلفوا بعد؟



المنزل هو الجزء الأساسي من تربية الأولاد

لأنه لا يمكن أن تأمره بعد أن يكلف و يستحب، صعب جداً، فلا بد من أن تأمره بالصلاة من البداية، عندما يكون عمره سبع سنوات ثم ثماني ثم تسع حتى يصبح عشر سنين، لأنه حتى عندما يصبح عشر سنوات قد يترك الصلاة، وَاصْرُبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَتْنَاءُ عَشْرِ، طبعاً الضرب اللطيف التأديبي، وليس الضرب المبرح، أبناء عشر وهو بعد لم يكلف، ربما يكلف في الثالثة عشرة، أو الرابعة عشرة، ونحن نأمره وننهاه ونتابع معه لأن التربية عملية تراكمية أيضاً التربية عملية تكاملية، ما معنى تكاملية؟ هي أربعة ميمات أحفظوها، الميم الأولى: ميم المنزل، المنزل أهم شيء، فإذا كان البيت منصعباً ليس على الشاشة ما يغضب الله، يُلاحظ الابن إذا خرج شيء لا يرضي الله مباشرة فإنك تطفئ الشاشة أو تديره، أنت تضع على المحطات التي تفيد في العلم والدين وفي غير ذلك، فالابن ينشأ في بيت ملتزم لا يرى مثلاً والده يغير ثيابه أمامه، فيتعلم أن هناك عورة، لا يرى أمه تكذب على أبيه، أو العكس، فيتعلم أن الكذب حرام، هذه ميم المنزل لابد منها، هي أهم ميم، ميم المنزل تسعون بالمئة والباقي عشرة بالمئة.

الميم الثانية ميم المدرسة، أن تختار له مدرسة تُعنى بتربيته وأخلاقه، لا مدرسة تُعنى بالانكليزية فقط، ميم المنزل فقط، وميم المدرسة، وميم المسجد، أن تصطحبه معك إلى المسجد، ميم المسجد، والميم الرابعة ميم المجتمع، وميم المجتمع قد لا نمتلكها، لكن يمكن أن نُنشئ مجتمعاً مصغراً يحافظ على الدين، بمعنى أننا في أسرنا الصغيرة ليس هناك مخالفات شرعية، لأن المجتمع من حولنا للأسف فيه فساد عظيم، إذاً ميم: منزل، مدرسة، مسجد، مجتمع، تتكامل مع بعضها في التربية، فلا بد أن نسعى إلى تكاملها بشكل أو بآخر.

4 - الترغيب والرفق :

طبعاً، السؤال كانت خمسة أمور لكن ذكرنا منها ثلاثة أمور من أجل ضيق الوقت هي ثلاثة تعينك على التربية، كن لهم قدوة، وتعامل بالقصة وضرب المثل، وثالثاً التربية عملية تكاملية تراكمية، فلا بد من الملاحظة والمراقبة، الرابعة والخامسة الترغيب، وقبل الترغيب الرفق:

{ مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا رَأْتَهُ ، وَلَا تُرْعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا سَأْتَهُ }

[رواه مسلم]

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ورثوا أعمالكم قبل أن توزنَ عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطى غيرنا إلينا، فلنتخذُ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمان، واستغفروا الله.
الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ.

الدعاء :

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميع قريب مجيب للدعوات، اللهم برحمتك أعمننا، واكفنا اللهم شر ما أهمنا وأغمننا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توفنا، نلقاك وأنت راض عنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين، وأنت أرحم الراحمين، وارزقنا اللهم حسن الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلقاك، وأنت راض عنا، أنت حسبنا عليك اتكالتنا، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرجنا، وما أسررنا وما أعلننا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل الدين، اللهم هبْ لهذه الأمة أمر رشذ يعز فيه أهل طاعتك، ويهدى به أهل عصيانك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، اجعل اللهم هذا البلد آمناً، رحيماً، مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم فرج عن إخواننا المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، فرج عن إخواننا في القدس الشريف، وفرج عن إخواننا المرابطين في المسجد الأقصى على أعدائهم يا رب العالمين، اللهم انصرنا على أنفسنا، وعلى شهواتنا، حتى نتنصر لك فنستحق أن تنصرنا على أعدائنا، و وفق اللهم ملك البلاد لما فيه خير البلاد والعباد، أقم الصلاة، وقوموا إلى صلاتكم برحمكم الله.